من ضرائب على الممتلكات ، وضرائب الميراث والدخل وغيرها

ويلاحظ أن الحكومة المركزية قد تمد يد المساعدة إلى حكومة الولايات فتساهم معها فى المحافظة على طرق النقل وفى إنشائها ، وقد تعمل على رفع مستوى التعليم بها ، ويتلقى عدد كبير من الولايات مساعدات من الحكومة الاتحادية ، ومقادير من المال تنفق فى أغراض خاصة

بهذا ينتهى وصف نظام الحكم فى الولاية ، أما نظام الحكومة المركزية أو الاتحادية فسنتناوله بالبحث فى مقالنا التالى إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

— ٣ —

أذية الأعراب للحج :

ولما مال تيان الليل ، وزاد فى الشوق الكيل ، تلقانا الفقرا من أهلها مبشرين بإسعاد وطول ذيل ، قائلين وقد عا الليل ، مسفرة يا حجاج والليالى سعود ، فما أحلاها من بشارة تقود الفؤاد المفؤود إلى نسيان أتعاب للالتهاب تذود ، وكان حصل من العرب بل الأعراب ، بعض أذية للحج أوجبت ضياع أسباب ، وبهؤلاء الخدام زال الإعدام ، وجاء الإيسار والبسط التام ، وعندما قاربنا المنازل المنورة ، التى جلت أن تكفيها مصورة ، طربت وحق الطرب ، بالوصول إلى المقر الأقرب ، وصحبى إخوان لهم اتصال أحب ، وخلان لهم ود من السر أعرب ، ولفرط انتعاش بمن أنا قادم عليهم من أسلاف ، غبت عنى كأنى شربت صرف السلاف ، وأنست فى سرى أنسا ، أنسانى نفسى ، وخيل لى أنى انفردت من أبناء جنسى ، وأن خدام الأسلاف والجدود تلقونى رافعين البنود ، فمظمت لدى ذاتى ، بوافر ساغر لذاتى ، وامتدت الأعناق وطالت ، وبهذا التلاق مالت ، وأخبر بعض من كان معى ، ومنهم الحاج حسن (بن مقلد الجيوسى) أن الجسم كبر وطال ، فى تلك الساعة وذلك الحال ، وصادقه الغير ، ولم أشعر بهذا الير

الشيخ يبدأ بالزيارة :

ودخلت من باب جبريل للزيارة ، وبلغ الطفل المتطفل على ساداته الأماجد بها أوطاره ، شرف القلب وشرق الجفن بدمعه وفرق . وزرت الحبيب بدمع صبيب ، « ومن زار مرقده ، وجبت له الشفاعة » كما رواه البيهقى وابن عدى فى الكامل . وعنه صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن زارنى لا يهمه إلا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » و « من لم يزر قبرى فقد جفانى » وعنه صلى الله عليه وسلم « من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة »

« وأتيت الروضة وصليت ركعتى التحية ، وأعددتهما من المنة لحديث (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وروى البيهقى من حديث جابر أنه قال « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهور رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام »

« ثم نهضت ثانيا لزيارة المرقد المظيم ، مواجها للوجه الكريم ، قائما بين يديه ، مكثرا من الصلاة والتسليم عليه ، وقرأت فى المقابلة آخر براءة وآية (ولو أنهم ظلموا أنفسهم الآية) وكررت طلب الشفاعة ، وعممت الدعا لحاضر أو خاطر بالبال من أولاد وعيال وإخوان ، وألحقت سائر الأمة المحمدية

« وبعد أداء ما يلزم فى هذا المقام ، توجهت لدار قرب باب السلام ، استأجرتها للنزول فيها ، كيما مواطن الوحى يصافيها ، وفى ثانى يوم فى الصباح قصدت سكان البقيع ، وبعد زيارة سيدى عثمان ، عطفت على زيارة أغلب المشاهد ، وعنه « يا أم قيس أترين هذه المقبرة ، يبعث الله منها سبعين ألفا يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر » . وكريت على زيارة سيدى العباس عم سيد الناس ، وأخيه سيدى حمزة

« وفى اليوم الثالث من هذا المقر المدنى ، بعد أداء فرض

العصر ، ودعنا الحبيب الأعظم ، وأنشدت فى السر قول ابن عماد :

فارقت طيبة مشغوفا بطيبتها   وجئت مكة فى وجد وفى ألم
لكن سررت بأنى عند فرقتها   ما سرت من حرم إلا إلى حرم

وبتنا على الأبيار ، وأولجنا إلى قبور الشهدا الأخيار ، ومنها إلى (الجديدة) التى لصوصها غير مؤيدة ، وعرب حرب ، من لهم المرفة فى الحرب ، هم حيات تلك الأرض ، وحياتها فى طولها والعرض ، فلو قطع دابر أعيانهم ، لخف فرط هيجانهم ، ولله تعالى خفى مراد ، فيا قدر وأراد ، فإن شرهم الآن فى زيادة ، نمت على العادة ، يريدون بوفد الله إمراً ، ويأبى الله إلا ما أراده وسربنا إلى (حنين) و (بدر) . ووفد للسلام المحب الفالح السيد محمد صالح نجل العالم الفرد الشيخ محمد الخليل ، وفى (رابغ) أحرمنا وفى (قديد) لم نطل الإقامة ، ونزلنا (عسفان) والحر آذى الوجوه البسامة ، وممن أوقفته فى حبالها وأرضعته ثدى خبالها ، صديقنا الأواه ، الشيخ نور الله ، وفى فم وادى فاطمة ، دفن وأمواج الهم متلاطمة ، وهنيئا له كل حين فإنه يبعث فى الآمنين لحديث (من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة) فإن قلت الوادى ليس من الحرم ، قلت ما قارب الشئ أعطى حكمه ، وقد دفن فيه على يمين الوادى بالنسبة للغادى . وما أحسن قول الحيوى مروى الصادى :

عرج ففى أيمن الوادى خيامهم   لله درك ما تحويه يا وادى

ودخلنا مكة المشرفة عقب العشا ، وزرنا أهل باب المعلا ، ونزلنا دار الشريف يحيى بن بركات فحصلت لنا بها مسرات وبركات ، وبعد إتمام الزيارة ، ورفع سدول الستارة ، والفوز بمشاهدة البيت المعظم ، والحوز على طواف القدوم ، عدنا لصلاة الجمعة ، ولما أذن المغرب سرنا إلى العرف المطرب ، ووصلنا انتصاف الليل ، والحاج يسيل إليه كالسيل ، ونزلنا لساق خيام ، كبيرة دائرة وإحرام ، وبعد الوقوف فى صفوف ، أهل الشفوف ، والتمتع بمعروف ذلك اليوم المعروف ، وما قلق القلب الطروب ، فيه إلا وقت الغروب لأنها كانت ساعة جامعة ، لقلوب أعيان الأكابر لساعة ، تفتق الجيوب وترتق فتق الغيوب ، تطهر من العيوب . وفى الحديث « لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا لاستبشروا بالفضل من ربهم بعد المغفرة » وبعد أن جمعنا جمع التقديم ، وحصل للمؤخر همم جمع التقديم ، وقفنا الأرواح على المواصلة ، لما وقفنا لاستقبال الإمدادات الحاصلة ، وأكثرنا من التلبية والدعاء . عاملين بحديث « من أصبح يلبي غابت الشمس بذنوبه » ومنه (ص) « إذا كان عشية عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلا غفر له » قيل يا رسول الله أهل عرفة خاصة ، قال بل للناس عامة . ودخل الليل ، وختمنا الموقف بدعوات عامة ، وهب صبا الرضا والقبول وأقنا فى (المزدلفة) إلى مضى زلف من الليل لا زلفة ، وحين اعتدل ميزان الليل ، شمرنا الذيل ، وفى (منى) بعد رمى الجمار دخلنا مكة المشرفة قبل الغروب ، واجتمعنا بمن معنا فى دار الشريف ، وأتيت البيت المعظم لطواف الإفاضة ، وتضلعت من كاسات زمزم . ولم أدع النزول إلى حرم الحصول ، إلا من شدة وهج يؤذى المهج ، أو غلبة نوم ، وكان جاءنى محب ملهوف يأخذ الإجازة ، فأجزته وأهديته نسخة من ورد السحر المعروف ، فتوقف فى بعض محلات منه تتوقف على الحس ، فأريته الشرح الكبير ، المسمى (بالضيا الشمسى على الفتح القدسى) فزالت الإشكالات ، وقرأ إخوان من جماعتنا الورد المذكور فى الحرم الشريف ، وكنت أطوف على البيت الموصوف بالجمال ، ونجلس فى المواجهة فى أول الصفوف ، ونسمع نغمات الطائفين من سائر الصنوف . وقد أغرب إذ أعرب الفاروق مجدد ما بعد سابع الألوف ، فجعل الكعبة زادها الله شرفا على غيره ينوف

مدرسان من الحرم يطلبان اجازة منه الشيخ البكرى :

« وجاءنى رجلان من أهل التمكين والبيان ، وعرف كل واحد الآخر أنه من مدرسى الحرم المصان ، وطلبا إجازة فى حديث الأولية فأسمعتهما الحديث الشريف ، وسأل أحدهما وهو المدعو بالشيخ محمد التكرورى ، عن الأسماء الإلهية ، فأشرت للأخ الأمجد الشيخ أحمد الموقت ، فتكلم معه ، فعرف أنه عارف نورى . ثم قال للفقير بلغنا أنكم تطالعون الفتوحات المكية فهل يمكنكم شرحها حرفا حرفا ؟ فبدت التواجد استعجابا من كلامه ، وقلت له لو حاولت فهم ظاهر ألفاظ الخطبة لأعجزتنى قطعا ، فكيف ببحرها

الدخار، فقال فيكم بركة. ثم ودع ورفيقه وسارا؛ فسألت عنهما فأخبرت أنهما من أكابر المدرسين الآن. وأخبرنى السيد محمد التافلالى أحد الأعيان فى السفرة الثانية للروم بما قدمته فتحققت أنه وحيد زمانه. وقلت للمذكور من سؤاله الثانى، فقال ما سألك إلا وهو متحقق أنه يمكنك من حيث الفضل الربانى

« وأخبرت عن رجل مغربى مواطن، فى الحرم الشريف قاطن، مراده الحج والعود للبلاد، يدعى الشيخ ابرهيم من نسل سيدى عبد السلام بن مشيش صاحب الصلوات، وحدثنى مادحه أن المشار إليه لما نزل المدينة أقبلت أهلها عليه، وانقادت له أكابرها لما السيد قبله، وسعت إليه على الآماق إذ بجواره أنزله، وقال إنه إذا جاء للمواجهة، لا يدرى بمن حاذاه ولا بمن واجهه، وما فى المدينة المنورة بيت إلا وقد اتقد مصباحه دون زيت، فسرت لزيارته مع المادح راغبا فى دعوة صالحة، ونظرة مخصوصة تجعل النفس للقرب صالحة، وصحبنى الأخ النبيل الشيخ أحمد فرأيته فى جهة باب السلام مستقبلا بيت السلام، فبادرته السلام، فسر السرور التام، ولم نطل الإقامة لئلا نشغله من طلبه، وطلبنا منه قراءة الفاتحة، والسؤال لنا من ربه، حال مواجهة بيت ربه. وطفت طواف الوداع، وطفت الدموع على الخدين تداع

الرجوع من الحج :

وفى سحر ليلة الجمعة بعد أن كررنا طواف الوداع برزنا إلى الشيخ محمود. وما زلنا بعده نرحل من محطة إلى محطة إلى أن أتينا على قبور الشهداء، وبادرنا الزيارة

وفى الحديث (من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتب له حجتان مبرورتان) رواه الديلمى عن ابن عباس. وغب التحية أديت ركعتى التحية، وعجلت الرجعة إلى المواجهة. وقرأت قوله (وعجلت إليك ربى لترضى)

« وبعد ما زرت سيد الشهداء، على بعد مسافة، دخلت قبة أخيه العباس، وما برحت أتردد من الحرم إلى الدار المعهودة، لاغتنام بركات إمدادات لا يشار إليها مقصودة. وجاءنى فيها عالم تقدير، جناب الشيخ محمد الدقاق وهو مغربى وأخبر أن السيد الأعظم أمسكه فى جواره وأنعم عليه بدنوه من نزله وقرب داره، وذكر اشتياق النفس لمهجة أكباده من أولاده، وطلب فاتحة بوصولهم إليه فى هذه البلاد، دون بلاده، فأجبناه رغبة فى دعوة منه صالحة، وأخبرت أنه بعد ذلك نال مطلوبه وقضى الحق مصالحه، ووفد بالمذكور على رجل يدعى عبد السلام، فذكرت صنيعه ورجوت له العفو التام، وذكر لى الجامع بهذا الجامع رجلا ذريفا مهل لى من باعلوى يدعى الشريف على، فقلت له سر بنا إليه، فنغتنم دعاه وأشياء مما لديه، وكانت هذه الجمية بطراز العصابة الألمية، مباركة المبدإ والآخر لاشتمالها على ذكر سادات حوت فى المفاخر، وذكر السيد المشار إليه، أغدق الله نعمه عليه، أن بعض أشياخه ممن يشرب من نقاخه، ضمن بيتين لبعض السادة، فى قصيد وقيد إفادة، وهما :

إذا لم نطب فى طيبة عند طيب ... به طاب طيب الحان أين نطيب

إذا ما استجاب الله منا دعاءنا ... لدى أحمد المختار أين يجيب

ولقد أكرمنا غاية الإكرام، وتلطف بنا فى الصحبة، وبعد ما عدت للمحل الحلى، تأملت فيما على من فوائده أملى

« ولما عزمنا على الوداع القطيع، وقد أثر فى القلب التقطيع، وألم فيه سيوفا وأسنة، حتى لتملأت بها الأفئدة والأجنة، وعدنا بعد العشاءين من المحل الخارج من المدينة، لأجل الزيارة والوداع ثانيا بنفوس مدينة، وبعد الصلاة فى حضرة الجمع والوجود، ووداع ينبوع الهمم والعلم والجود، أتينا نسيئة النفس وتقد العين، على فراق روح الروح، وعين العين

فى العودة على طريق الحج :

وفى صباح ذلك اليوم المطير سرنا إلى (الجرف) بطرف مطير، والب منا أسير والقلب فاك كسير، وما زلنا نطوى بسط البيد أى طى، ونزوى هموم الفراق عند الأحباب أى زى، إلى أن وصلنا مقاما اسمى هدية صبيحة لما أممنا محطة قلة (هدية) التى عمرها بعدنا بيسير صاحب الرأى الصائب المصان، جناب

سليمان باشا (١) أحد أعيان وزراء آل عثمان ، أثابه الديان

واجتمعنا يوم الثلاثاء العاشر من المحرم ، بالجردة ، فكان يوم الاجتماع لدينا معظم ، وأقمنا فيها كالعادة ، ومرنا طالبين الرحاب للاستفادة . وكانت المكاتبات الواصلة حركت ساكن الأشجان ، وتقدمنا نسير مع الشمارة ، لما أتعبنا مع الحج أهل القمارة ، غلمانه المطلقين اللسان ، بالسب لسفاهة برأى وعدم إحسان ، فحصلنا وإن خاطرنا راحة ، من منازعتهم لم تدخل فى راحة ؛ وصرنا نخب العلا ونحب الخلا لما حلا ، إلى أن وصلنا (العلا) وأقمنا يومين . كانا فى البسط مثل تؤمين ، وأتينا (المدائن) وأقربنا منها أفازة مثلثة ، إذ أمامنا الدار الحمرا ، الفازحة المياه ، فكانت للهلكات محدثة ، وكان يوم الوصول إلى (المعظم) مهول ، نهبت فيه المياه المعدة ، وتلفت فيه أنفس لها عدة . ولم نقم فى هذه المحطة المضرة بالحاج ، إلا مقدار ما له فيها تحتاج ، وأسرعنا إلى (المنزل الأخضر) فوصلناه قبل الفجر بوجه أنضر ، وأقربنا منه أفازة المقابر ، ولم يرو ركب الحج السائر ، إلا لدى قلعة (جفبان) التى عمرها الوزير العثمان ، جناب عبد الله باشا (٢) أمير حجنا الشامى قبل عامنا ، وسرنا إلى منزلة (معان) والحق يجوده أعان ، وأقمنا فى (الحسا) يوما لعمارة جسر مهدوم ، ويوم دخولنا على (الزرقا) والفؤاد مكلوم ، ونحن فى الخفة كؤوس المسرة نسق وفى بحرها نعوم ، ورد على اللسان مطلع مقيد ، فسمعه الأخ الحاج حسن (بن مقلد الجيوسى) فأنجات غيوم ، ثم تبعه آخر وثان وثالث ، فطلب إثباتها لتسلا تنسى ومطلع القصيدة :

سمعت حديثا يجلب البسط والصفا
فهيج شوقا للفاكاسه طفا

« وجاء كثير ملاقية ، بالفواكه المنوعة الشامية ، فحركت ساكن أشواق ، وجاءت أهل (جورة حوران) بالمآكل الطيبة التى لكلم جوع مضى فى الفازات مطيبة ، فأكلنا بنهم فرحا بوصال قرب ديار ، وشربنا من مائها العذب وجزنا سراعا إلى (المفرق) وحزنا طربا من القدم إلى المفرق ، وجاء نابعض إخوان سوابق عهد ومحبة ، فسرنا القدوم لنفتش أخبار منازل علت منه الرتبة ، وكان صحبنا الأخ الفاضل الألمعى ، خليفتنا الشيخ محمد المكتبى ، وهذا الأخ اسمه مسطور فى الرحلة العراقية ناويا زيارة الديار القدسية ، وتجديد آثار الصحبة المؤسسة ، ومن هذه المحطة توجهنا إلى قرية تسمى (أصيلة) وبتنا بها والأنس بها حائق ، ومنها ترحلنا إلى (طيبة بنى كنانة) ونزلنا (الصما) لما امتلأت بسهام المواصلة الكنانة ، وبتنا بليلة طيبة ، وفى الصباح شددنا على النوق ، وقطعنا وادى العرب ، ونحن فى سرور وطرب ؛ ومررنا على (جسر المجامع) فلم ننزل لديه عند (عيون القصب) وبعد ما زال النصب شمرنا ذيل السير حيث انتفى الوصب ، ونزلنا على (الجالوت) حصة ، أذهبت عن الفؤاد غصة ، ودخلنا بملاقية بنى صعب وجبل نابلس صباحا (جينين) وعندنا للأوطان حنين ، وتوجهنا صحبة رفاق إلى قرية (كور) وبتنا بها ليلتين نسقى من علها ونهلها ، وأوصلنا الذى أخذناه من أهلها لأهلها ؛ وتوجهنا صحبة من معنا إلى الديار المقدسة ؛ والآثار التى على الأنوار مؤسسة ، وبتنا فى (الزاوية) التى للهموم بالسرور زاوية ، وقام بخدمتنا رضوان ؛ فارتحنا راحة من رأى رضوان ؛ ومنها إلى (بيتونيا) ولم نتجاوز لها حدا ؛ وفى الصباح أقبلت الوجوه الصباح ؛ ولم ندر لهم عدا !

« وحصل يوم الدخول والحصول ، فى منازل عزت عن الحوصل والدخول من البسط المقبول ؛ لاسيما بملاقاة ثمرات أكباد ، وقلت بعد الصلاة فى الحرم الشريف منى التحية

« وبعد الإقامة فى نزل السلامة ، وورود الأحباب ، مهينة بنيل الآراب ؛ وردت الكتب المشرفة من الأصحاب والأنساب ، مبشرة بتحصيل ما لم يكن فى حساب ؛ وسطرت ما ورود منهم والجواب (فى الأردان) فانظر هناك تر العجاب . لأنى لم أختم تأليف هذا الكتاب إلا سنة خمسين . لما توجهت ثالثا لتلقى الرحاب ؛ على طريق مصر القاهرة بمعونة رب الأرباب

(تمت الرحلة) أحمد سامح الخالدى

(١) هو سليمان باشا العظم ، الوزير ، والى الشام وصديق الشيخ البكرى (١١٤٥ هـ — ١١٤٧)

(٢) هو عبد الله باشا الأيديلى (١١٤٣ هـ) ترجمة الزركلى — ٤٧٣